

النشاط الاقتصادي في مدينة البليدة وفحوصها خلال العهد العثماني

أ. قبال مراد

جامعة خميس مليانة

ملخص

يتناول هذا المقال والذي هو تحت عنوان: "النشاط الاقتصادي في مدينة البليدة وفحوصها خلال العهد العثماني": تأسيس وموقع مدينة البليدة وتسمياتها المختلفة عبر مراحل التاريخ وهذا كمدخل، ثم يبدأ التفصيل في التعرض للنشاط الاقتصادي في المدينة خلال الفترة العثمانية، فاقتصاد المدينة كان مبنيا على النشاط الزراعي بالدرجة الأولى، وهذا راجع لتظافر عوامل عديدة (كخصوبة التربة، واعتدال المناخ، ووفرة المياه...الخ). كما عرفت البليدة وفحوصها عدة صناعات كصناعة النسيج والتطريز بالخصوص، كما نشطت بالمدينة الحركة التجارية، حيث ساهم الموقع المتوسط والإنتاج المتنوع في ذلك.. هذا النشاط المزدهر جعل من البليدة إحدى أهم مدن الإيالة خلال العهد العثماني.

Résumé

La ville de Blida a en differente nominations à travers l’histoire et connu plusieurs activités économique pendant l’ère ottomane ainsi qu’une excellente activité agricole.

Devenue l’une des principales villes de l’état d’Algérie, elle a prospéré grace a l’industrie artisanalé de textile et eu particulier de la broderie.

مقدمة

في بداية القرن السادس عشر، لم يكن يوجد على - أرض البلدية - إلا قريتان لفرق من قبيلة بني خليل، في الشمال قرية هجار سيدي علي، وإلى الجنوب قرية أولاد سلطان، ففي عام 1519م هجار سيدي علي لم تكن سوى مساكن متواضعة ممتدة على سفوح الأطلس، لم تكن حينئذ إلا قرية مكونة من أحد عشر كوخ، وكانت أول لبنة تطبع المرحلة المنيرة في تاريخ البلدية، من طرف سيدي أحمد الكبير، الذي أسس مدينة البلدية في مكان غير بعيد عن موقع خزرونة القديمة بجوار وادي الرمان، ويعود إعمارها إلى العناصر الأندلسية المورسكية التي أقطعها خير الدين بربوس عام 942هـ/ 1535م أراضي بتلك الجهة فاستقرت بها، حيث أنشأت مسجدا وفرنا عاما و حماما وكثيرا من المنازل، ومنها امتدت البنايات. وقد حاول أهل هجار سيدي علي وأولاد سلطان إتباع نفس طريقة البناء لتعويض أكواخهم، فمنذ نشأتها اتسعت رقعة المدينة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، لتأخذ بذلك هيأتها التامة على كامل ترابها.

واسم البلدية كما هو واضح عربي، و هو تصغير بلد ، أو بلدة، و تعني "المدينة الصغيرة" أو "القرية الكبيرة". و قد عرفت البلدية عبر تاريخها بصفات و ألقاب، تبرز سحرها و جمالها، من ذلك: "البلدية الوريذة"، "المدينة - الواحة"، "مدينة البساتين الإفريقية"، "زهرة الساحل"، وأخيرا "مدينة الورود".

تقع البلدية على بعد 48 كلم جنوب - جنوب غرب مدينة الجزائر، على خط طول (40"، 29'، 0° شرقا)، ودائرة عرض (15"، 28'، 36° شمالا)، وعلى ارتفاع 260 متر عن مستوى سطح البحر، رابضة عند قدمي الأطلس الشامخ، عند الحافة الجنوبية لسهل متيجة (أم الفقراء) الخصب.

فعلى الحافة الجنوبية لسهل متيجة، وعلى بعد 22 كلم عن ساحل البحر، تأسست مدينة البلدية، التي هي على اتصال تام بالساحل والسهل.

إن وصف اقتصاد مدينة البلدية خلال العهد العثماني مطابق كثيرا لما ورد في التوضيح التالي عن مدن ما قبل الاحتلال: "كانت ترتكز على نشاطات صناعية، تجارية، حرفية، عسكرية، إدارية، وفلاحية، وكانت تستمد ازدهارها من موقعها، ومن الوصاية، والحماية المفروضة عليها، فوق جزء من عالم الريف، وكذا من علاقاتها بالمقاطعات الأخرى، كانت هذه المدن مقامة عموما على أرض تدعمها الظروف الطبيعية، وخاصة الري"(1) (Secrétariat social d'Alger, Alger, 1969, p 33).

وقد تعددت وتنوعت النشاطات الاقتصادية في مدينة البلدية، من فلاحية، إلى صناعة، إلى تجارة، والأمر الذي أدى إلى هذا التنوع والتعدد، هو بلا شك طبيعة موقع المدينة، عند الطرف الجنوبي لسهل متيجة الخصب، إضافة إلى كونها تشكل حلقة وصل بين عالمين هما عالم الريف، وعالم المدينة، وبين إقليم دار السلطان وبايليك التيطري. على أن أهم نشاط اقتصادي تميزت به البلدية خلال هذا العهد يتمثل في النشاط الفلاحي، باعتبار أن أراضي البلدية تعتبر جزء من سهل متيجة، لذلك اعتنى الحكام والسكان على السواء بالزراعة عناية كبيرة. وقد انعكس الرخاء الاقتصادي الذي عاشته المدينة، على الناحية العمرانية بها، حيث اتسعت رقعتها الجغرافية في ظرف وجيز، وتنوعت بناياتها، حيث أنشئت بها أهم المراكز والمؤسسات العمرانية، حتى غدت مركز جذب لطوائف متنوعة من السكان.

1- الفلاحة بالبلدية وفحوصها:

تشكل فحوص البلدية على المخطط الإداري، إقليم الجهة العلوية لوطن بني خليل، المعروفة تحت اسم الحمادة، والذي كان من الناحية الاقتصادية والاجتماعية مواليا لمدينة البلدية، التي كان غناها ناتجا عن خصب، وإنتاج بساتين الفحوص (2) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 75)، حيث كانت تمثل ظهيرا جغرافيا واقتصاديا لمدينة البلدية.

تقع فحوص البلدية على سفوح الأطلس حول وادي سيدي الكبير على ارتفاع 230 متر فوق سطح البحر (3) (L'epoque Ottomane, 20001, p 75)، وقد كانت هذه الفحوص مشكلة من حقول خضار (بحاير)، وبساتين فواكه (جنات)، ومجموعة ضياع أو أراضي زراعية (أحواش)، وكذا بعض المنازل (أو الديار).

وعلى الرغم من أن السلطات المحلية لم تكن تعتني عناية كبرى بالشؤون الزراعية، فإن المنتجات كانت تزيد عن حاجات السكان، بالإضافة إلى أنها كانت تحظى بشهرة عالمية (4) (محمد العربي الزيري، الجزائر، ص 58)، فقد كانت البلدية ومنطقتها تتميز طيلة العهد العثماني بإنتاجها الوفير، وبجنتها الفيحاء (5) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 140)، وهذا منذ أن اقتطع خير الدين أرضها، لجماعة من الأندلسيين، تحت رعاية الشيخ سيدي أحمد الكبير، الذي استقر بجوار وادي الرمان، حيث اعتنى بالزراعة، وغرس البساتين، وسقى الأرض، وأجرى المياه في القنوات (6) (نور الدين عبد القادر، قسنطينة، 1965، ص 266)، حتى أصبحت بساتين وحقول البلدية، تنتج جميع أنواع الفواكه، وجميع أنواع الخضار التي تستهلك في مدينة الجزائر (7) (Venture de paradis, 1895, p 276).

وأمكنة فحوص البلدية محددة في وثائق المحكمة الشرعية بعدة أوصاف: أوطان - موطن - تراب - إمارة - محل - غرس. ويمكن تحديدها كما يلي:

أغار أو مالال - بير الحبس - بلاد الشبلاي - البلدية الجديدة - شعبة بني مفتاح - شعبة السمار - التراب الأحمر - العناب الأحمر - الأوش - النجار - السعيدية معيشة - خزرونة - معدن الباجور - مجاجة - مطمر في إمرة - مراد - وادي أفور - أولاد عمور - أولاد سلطان - سيدي أحمد الغريب - سيدي يعقوب - تبارديت - تالة إفري - تارنورت - طريق الخروب - طريق الرمان - تفاحة - تيميزار أو تامازار -

تراب معصومة - ترارس أو توارس - تازمورت أو تازموت (8) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 75).

ولقد كانت هذه الفحوص خصبة، ومزروعة بطريقة جيدة، حيث توجد حقول مزروعة، ومحاطة بأشجار الزيتون البري، وأشجار التين (9) (Franc Jules, Paris, 1928, p 58)، إذ اشتهرت فحوص البلدية بزراعة الأشجار المثمرة كالتين، والزيتون، والبرتقال، والعنب، والخوخ، والكرز (حب الملوك)، والمشمش، والتوت، والارنج، والليمون، وغيرها، وخاصة أشجار البرتقال التي كانت بساتينها تمتد لمسافة تقدر بأكثر من 400 هكتار (10) (A. Prenant, V. Lacoste, A. Nouschi, Paris, 1960, p 202)، حيث أحاط البلديون المدينة بخزام من البساتين وأشجار البرتقال (11) (Claudine Chaulet, Madrid, 1971, p 20).

وكان الاعتناء بزراعة الأشجار المثمرة واضحاً، حيث كانت بساتين البرتقال محمية بأسوار ترابية، فكان مردود الشجرة الواحدة ما بين 500 و1500 برتقالة. وقد يصل إلى 3000 برتقالة (12) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 205). وقد لاحظ رودونوت أن الأشجار المثمرة في كثير من البساتين تثمر مرتين، وأحياناً ثلاث مرات في السنة، ويعود ذلك إلى خصب التربة، وعناية المالكين (13) (وليم سبنسر، الجزائر، 1980، ص 114)، وقد تم جلب البرتقال إلى البلدة من إسبانيا من طرف المهاجرين الأندلسيين، الذين كانوا يسمونها "تشينا"، ربما لأن أصلها من الصين (14) (Jean Bisgambligia, 1962, p 10). كما تمتاز منطقة الفحوص بإنتاج الخضار، التي حسن الأندلسيون أنواعها، وطوروا زراعتها (15) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 140) بمختلف أنواعها، كالطماطم، والخيار، والبصل، والبطاطس، والفلفل، والبادنجان الذي استمد تسميته من مقاطعة أندلسية هي باتنجال (BITANJEL)، والزعفران، والسبانخ، والقرنوب، والكرث، والجلبان، والملفوف، والكرنب، والقرمز (KERMES)، الذي كان يستخدم في صبغة المنسوجات بالبلدة (16) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 109). كما نجد بمنطقة الفحوص زراعة الحبوب، والكتان (17) (Franc Jules, Paris, 1928, p 58)، خاصة في الأراضي الجافة، والبعيدة عن المستنقعات، ونقصد بذلك السفوح الأولى (الشمالية) من جبال بني صالح (18) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 82).

يضاف إلى الفلاحة، قطع من الماعز أو الأغنام، مع بقرة أو بقرتين، خاصة في الأحواش، فالثروة الحيوانية كانت متوفرة، ولكنها كانت تواجه بعض المشاكل (19) (أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1982، ص 152)، كما أننا لا نستطيع حصرها لأن السلطات في ذلك الوقت، لم تكن تهتم بالإحصاءات، إلا أنه بإمكاننا أن نأخذ صورة عنها من كلام حمدان بن عثمان خوجة السابق، أو من كتاب صالح العنزي (سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة) بقوله: «البقرة الغاية في ذلك الزمان تباع بأربعة ريالات وخمسة. والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان، والكيلو منه بتونسية، أعني صوريين، وقدحة الزبدة التي تزن زوج كيلو أو أزيد بربع الريال، والرطل من التمر بريالين ونصف» (20) (صالح العنزي، الجزائر، 1974، ص 34). ويبدو أن ضالة الفارق بين الأسعار، دليل على أن عدد رؤوس الأغنام والأبقار كان كبيراً، حيث كانت تشكل المصدر الرئيسي لرأس مال الأهالي (21) (أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1982، ص 153)، خاصة في السفوح الجبلية للبلدة.

وما ساعد على انتشار تربية المواشي وحرقة الرعي، كون السهول المحيطة بمدينة البلدة ملائمة للرعي، باعتبار أن مراعي المستنقعات من أهم المراعي، لأن أديمها الرطب تغطيه الأعشاب طوال السنة، على عكس المراعي الجافة، التي لا تتوفر بها الأعشاب سوى في فصل الشتاء فقط، ثم يجف الكلاً في فصل الصيف (22) (مجلة مرآة متيجة، الجزائر، 1986، ص 04). وعلى العموم فإن تربية المواشي في فحوص البلدة، كانت تهدف إلى تغطية الاستهلاك الذاتي للبايلييك، من اللحوم، والحليب، والزبدة (23) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 201).

إن كثافة الغطاء النباتي، وجودة الإنتاج الزراعي، والإحساس بالجمال الطبيعي جعل الرحالة والمؤرخين يطلقون صفة (المدينة-الواحة) (24) (Joelle Deluez, France, 1988, p 29)، والجزيرة الخضراء التي تنبعث من بحر متيجة، التي تشبه الصحراء (25) (هاينريش فون مالتسان، الجزائر، ص 134)، على منطقة البلدة كما أن الكولونيل سالدان السويسري يقر بأنه "لم ير

في سائر أنحاء أوروبا ما يشابه ناحية البليدة التي زارها" (26) (Habart Michel, Paris, 1960, p69). ونظرا لخصوبة وجمال منطقة البليدة خصت بهذه الأبيات الشعرية الجميلة:

بدت بساتين البليدة كالواحة تنبعث من الصحراء المقفرة
بدت تتراح بين أحضان الحداثق الخضر والأحواض المزهرة
وتسيل فوق ضفة النهر وقد جعلتها براعم بساتينها
وقباجها البيض الملتمة كأشعة القمر مدينة خرافية (27).

(هاينريش فون مالتسان، الجزائر، ص 134-135)

أما بخصوص تقنيات وأساليب العمل الزراعي، فرغم إدخال الأندلسيين زراعات جديدة، وتطويرهم وسائل الري، وإنشاءهم الحنايا والسواقي، في الفترة الأولى للعهد العثماني، إلا أن الفلاحة لم تتطور منذ أواسط القرن السابع عشر (28) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 57)، وهذا راجع إلى الأساليب العتيقة المتبعة، والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض (29) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1979، ص 33). فسواء تعلق الأمر بشبه الرجل أو الغراسين، فإنهم يستعملون كلهم أداة حرث وحيدة، وهي المحراث الخشبي الذي وصفه القس بوازي (Poiret) في سنة 1785 ميلادي على أنه: "مجرد سكة مربوطة بقطعة خشبية طويلة، مكوعة في الوسط ويوجد في طرفها المقرن" (30) (لوسات فلتري، تونس، 1994، ص 56). ويضاف إلى المحراث الخشبي استعمال المنجل البسيط الذي يتلف السنايل أكثر مما يحصدها، والالتجاء إلى رمد الأعشاب المحروقة، وفضلات الحيوانات لإخصاب التربة، وعند عدم توفر هذه الأسمدة، يلتجئ الفلاح إلى ترك الأرض بورا لمدة سنة أو أكثر، لتستعيد خصوبتها. على أن هذا الأمر لم يحل دون إتباع طرق ملائمة، والالتجاء إلى وسائل تتماشى وظروف الفلاحة، وطبيعة البيئة، مثل توزيع المزروعات حسب نوعية التربة، وطبيعة المناخ، وكذا التجاء الفلاح إلى المحافظة على إنتاجه من الحبوب في مطامير وجرار كبيرة، واستعماله الحيوانات في الدرس، واستخدامه الرياح في تصفية الحبوب، والانتفاع بالتين في الطهي والعلف (31) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 57-58).

كما أنه وفي فحص البليدة، تمكن الأندلسيون من تحويل مياه وادي الرمان، الذي أصبح يعرف بوادي سيدي أحمد الكبير الأندلسي، الذي ينبع من منحدرات جبل الشريعة، إلى قناة رئيسية طولها 1500 متر، ذات منسوب مائي مرتفع يصل إلى 20000 لتر يوميا (32) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 110)، حيث بدؤوا بإعادة توجيه الوادي إلى الغرب، حيث كان يصب في الجهة الشمالية، قاسما حائط المدينة إلى اثنين، ونفس الأعمال قام بها الأندلسيون من الجهة الشرقية، وذلك باستغلال مياه وادي بني عزة (33) (Joelle Deluez, France, 1988, p 29)، ولم يكتفوا بذلك، فقد حاولوا استغلال المياه المنحدرة من جبل الشريعة، عبر أودية الخميس، وجبور، وبني شبله، والمبدوع، وتامرة، وبني مفتاح (34) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 110). ومما ساعد على وجود تقنية السقي بالسواقي درجة ميل أرضية مدينة البليدة، التي تقدر بـ: 3% في الاتجاه جنوب/شمال (35) (Joelle Deluez, France, 1988, p 29). وقد وجه جزء من هذه المياه لري البساتين، أما الجزء الرئيسي فقد احتفظ به لاستغلاله في الصناعات، وتوجيهه لسد حاجات مدينة البليدة من المياه (36) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 110).

على أن الأمور تغيرت جذريا بعد حملة الغزو الفرنسية على الجزائر، فالاختلاف بين متيجة في زمن الأتراك ومتيجة في زمن الاحتلال الفرنسي كان بالدرجة الأولى من ناحية الزراعة، فالأول يمثل بصورة أقل أو أكثر نوعية المظهر الرعوي الزراعي، مع تواجد العديد من الدارات الصغيرة (VILLAS) البيضاء، المقامة وسط أجنة، تثمر المحاصيل للتبادل والاكتفاء الذاتي، وقطعان الدجاج والأغنام، والكثير من الرحوات لطحن الحبوب، الموجهة للمدن الجزائرية. أما خلال الفترة الأخيرة، فإن تلك الضيعات الصغيرة، قد حلت محلها الملكيات الواسعة جدا، وكل منها تتحكم فيها بيت إقطاع، سقفها من القرميد الأحمر، وقد خصصت لإنتاج الحمضيات، وعنب الخمر (37) (وليم سبنسر، الجزائر، 1980، ص 115).

2- الصناعة بالبلدة وفحوصها:

شهدت مدينة البليدة وفحصها نشاطا صناعيا وحرفيا متنوعا، إذ كانت تعج بالصناع والحرفيين الذين كانوا يزاولون مختلف الحرف والصناعات، في ورشاتهم، ومشاعلهم، حيث تجمعت كل صناعة أو حرفة في مكان مخصص، بحيث عرف كل زقاق، أو ساحة، أو حومة بالصناعات الموجودة به (38) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 110).

وقد تركزت محلات الحرفيين في الشارع الممتد من باب الجزائر، حتى باب القبور، الذي ضم محلات النجارين، والطرازين، والخزافين، والدباغين، والسراجين... الخ (39) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 883-946). وقد كان الإنتاج موجه لتغطية الاستهلاك المحلي، وإرضاء متطلبات أسواق المدينة والأرياف من المصنوعات اليدوية (40) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1979، ص 34).

ومن أهم الصناعات والحرف التي انتشرت في مدينة البليدة، والمناطق المحيطة بها:

أ- **الصناعات الغذائية:** وتوزع على أفران الخبز (الكوشات)، ومطاحن الدقيق (الرحى)، حيث أقيمت بفحوص البليدة سبعة مطاحن مائية لطحن الحبوب (41) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 224) قادرة على طحن ما لا يقل عن ألف كيس من الدقيق يوميا (42) (Louis Piesse, Paris, 1885, p 83-84)، خاصة تلك المطاحن المائية الموجودة على ساقية وادي سيدي أحمد الكبير (43) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 140). ولم يكن الأهالي يسيطرون على مخازن الحبوب العامة، ولا على طواحين المياه في ضواحي المدينة، ولكن الذي كان يتولى ذلك هم العثمانيون (44) (أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1982، ص 152)، كما امتازت البليدة بصناعة تحفيف الفواكه، وتحضير المربي، وتقطير ماء الورد الذي اختصت به العائلات العريقة من الأندلسيين والبلدية (45) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 68).

كما وصف لنا سيمون بفايفر، طريقة تقليدية لتهيئة الزبدة في الفحوص والأرياف، بقوله: "فهم يخيطون جلد الماعز، ولا يتكون منه إلا فتحة في العنق، ويعلقونه من الأرجل الأربعة، بواسطة الحبال في عارضة، أو في فرع شجرة، ويصبون الحليب في الجلد، ويشدون الفتحة، ثم يقف اثنان، كل واحد منهما في جانب، ويتراميان بجلد الماعز، وعن هذه الحركة تنشأ الزبدة" (46) (سيمون بفايفر، الجزائر، ص 161).

ب- الصناعات التحويلية: وتعلق بتحضير مواد البناء، كصناعة الجبس، والقرميد، والأحجار التي تستخدم في البناء. وقد كانت هذه المواد تعالج في أفران محلية في منطقة جبال بني صالح بالبلدية(47) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 220).

ويلتحق بهذا النوع من الصناعة، صناعة الخزف والأدوات الفخارية، حيث عرف صناعيو البلدة بصناعة نوع جيد من الخزف المزجج بالطلاء، في شكل بلاطات صغيرة مربعة، مكسوة بالطلاء، والمعروفة بالزليج (48) (ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 110)، الذي يستعمل عادة في تغطية المنازل، وكساء الجدران، وتزيين العيون العامة، ومداخل البنايات. أما الأدوات الفخارية، والأواني الخزفية التي تستخدم في عدة منافع، كأواني الأكل والشرب والطهي، والجرار لتخزين الزبدة والزيت، فكانت تصنع من طرف النساء، بأدوات يدوية تقنية بسيطة، ومهارة مكتسبة بفعل العمل المتكرر. وتتم العملية بشكل أساسي في فصل الربيع، لأن التجفيف فيه أسرع من فصل الشتاء، وأقل سرعة في فصل الصيف، وكانت توضع على هذه الأواني رسومات، وألوان مختلفة (49) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 220). كما أن حرفة صناعة السلال كانت منتشرة بين سكان المدينة، وسكان السهل، وسكان الجبل، وكانت المواد الأولية لهذا المنتج هي الحلفاء، وسعف النخيل. أما المصنوعات فهي الحصير، والقبعات، والقفف المسماة الشواري، والسلال، والصحون، والأقداح(50) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 220)، فالحصائر كانت تفرش في المساجد والبيوت، والمقاهي والأسواق .

ج- صناعة ومعالجة الخشب والنجارة : ومما ساعد على وجودها غنى، منطقة البلدة بالأشجار، خاصة في المناطق الجبلية، حيث تتواجد غابات كثيفة من الأشجار، كما في جبال الشريعة، وجبال بني صالح، حيث اختص سكان السفح الجنوبي لجبال بني صالح، في حرفة التحطيب، وجمع الفحم(51) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 243-289)، فقد كانوا ينزلون إلى المدينة كل صباح، يدفعون أمامهم قطيعا من الحمير، محملة بالخطب والفحم الخشبي(52) (محمد صالح بكوش، من 26 إلى 31 ماي 2003، ال. وقد كانت الأخشاب تستغل إما في البناء، وإما في صناعة الأثاث المزخرف بأشكال بارزة (53) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 221).

د- صناعة النسيج: تطورت على أيدي الأندلسيين، الذين توارثوا الأساليب الفنية لصنع الزرابي، والأقمشة، والشواشي، والمحمل (القطيفة)(54) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 68). وكانت هذه الصناعة تعتمد على المواد الأولية المتوفرة، من صوف وكتان وقطن، وتتم بواسطة أجهزة تقليدية بسيطة، أهمها المنسج التقليدي، حيث كانت الصوف المحضرة في البلدة، تستعمل في صناعة القبعات والشاشيات في مدينة الجزائر(55). (Venture de paradis, 1895, p 277).

ومن منتجات هذه الصناعة، الأقمشة القطنية والحريية، من ذلك قماش المناديل(56) (حمدان بن عثمان خوجة، الجزائر، 1982، ص 91)، أو صناعة نسيج المناشف، التي تباع في مدينة الجزائر(57) (محمد بن عثمان خوجة، لبنان، 1972، ص 69)، وصناعة الشواح (الخمار) (58) (Venture de paradis, 1895, p 277). كما كان أفراد القبائل المحيطة بالبلدة (مثل بني صالح)، مشهورون بصناعة البرانس والأغطية ذات النوعية (59) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 222)، حيث كانت نساء

بني صالح محترفات وخبيرات، فيما يخص حياكة و نسيج الصوف، فعلمهن المتقن لم يكن يتطلب الكثير من المواد الخام لحياكة البرانس، والقندورة، والخمارات(60). (Venture de paradis, 1895, p 267).

هذا وترتبط صناعة النسيج بمهنة الصباغة، حيث اشتهرت بها البليدة خاصة لتوفر نبات القرمز بجهااتها، ولوجود عيون غزيرة، وبحاري مائية دائمة بها (61) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1992-1993، ص 111)، حيث مكنت مياه واد سيدي الكبير، من بناء العديد من الأحواض المخصصة لغسل الصوف و دباغتها (62) (Venture de paradis, 1895, p 748). وبفضل نشاط صناعاتها، وتوفرها على أحواض الصباغة، استطاعت البليدة أن تحتكر هذا النشاط الصناعي، بعد أن اضمحلت دلس وتناقص سكانها (63) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1992-1993، ص 111).

ن- صناعة الجلد: طورها الأندلسيون فأصبحت أكثر اتقانا ودقة مما كانت عليه، وقد ساعد على ذلك وجود أحواض خارج البليدة، تعالج فيها الجلود، قبل توجيهها إلى مشاغل الاسكافيين (64) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1992-1993، ص 112). ومن أهم منتجات هذه الصناعة: السروج، والأحذية، حيث كان سكان البليدة الأبرع في هذا الميدان (65) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 222).

ي- صناعة التطريز: كالتطريز على الجلد(66) (أحمد توفيق المدني، الجزائر، 1984، ص 199)، من أدوات كالأحزمة، والسروج، والمحافظ الصغيرة (الزدان)، والمحافظ الكبيرة (الجبيرة)، والتطريز على القماش، وكانت تتم باستعمال خيوط الذهب والفضة (67) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 70). إضافة إلى هذا تميزت البليدة بصناعة الشبيكة، التي توارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهن، سواء من حيث الآلات المستعملة في نسجها، أو الطريقة والطرز المتبعة في تشكيلها (68) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 141).

إضافة إلى هذه الصناعات، شهدت البليدة ومنطقتها صناعات أخرى لا تقل أهمية، كصناعة الأسلحة وتخصير البارود، والتي وجدت إقبالا من طرف سكان متيجة والأطلس البليدي (69) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1992-1993، ص 112). وصناعة المجوهرات والحلي، التي اختص بها أفراد المجموعة اليهودية، وبعض حضر المدينة من الأندلسيين والكراغلة (70) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 70)، وكذا صناعة الصابون، والمستحضرات العطرية، لتوفر المواد الخام، كالورد، وزهور اللارنج (71) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1992-1993، ص 112). وقد برز نشاط الجالية الأندلسية بالبليدة في بعض الصنائع والحرف، التي كانت تمارسها بمهارة وإتقان، فمن حرفييها نذكر: علي بن عمر الأندلسي الذي كان مشتهرا بصناعة الصابون، والخياط يحيى، إضافة إلى أصحاب البطان المختصين في صناعة الشاشية، ونذكر منهم: "الحاج علي بن محمد الفهري الأندلسي" (72) (رابح كنتور، من 04 إلى 09 ماي 2002، البليدة، ص 06). كما انتقلت الكثير من الصنائع والحرف من الأندلسيين إلى سكان المنطقة، مما كسبهم حرفا، وفرت لهم عملا ومهنا مستقرة (73) (رابح كنتور، من 04 إلى 09 ماي 2002، البليدة، ص 06).

3- التجارة بمدينة البليدة وفحوصها:

يتوزع النشاط التجاري في الجزائر في العهد العثماني على المدن الكبيرة، والأسواق الأسبوعية والموسمية (74) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 71)، وفي الحوانيت (الدكاكين)، والمعارض السنوية (75) (محمد العربي الزبيري، الجزائر، ص 64). فالأسواق تشتمل على حاجات الناس، فمنها الضروري، وهي الأقوات من الحنطة والشعير، وما في معناهما، كالباقلا، والحمص، والجلبانة، وسائر حبوب الأقوات ومصلحاتها كالبصل، والثوم، وأشباههما، ومنها الحاجي والكمالي مثل الأذم، والفواكه، والملابس، والماعون، والمراكب، وسائر المصانع والمباني (76) (عبد الرحمن ابن خلدون، لبنان، 1968، ص 646).

فبالأسواق تعد حاجة اقتصادية، وعادة لا بد منها لاستقبال أونشر آراء جديدة، وذلك لأنها كانت تعد مراكز اجتماعات، ونقاط لقاءات عمومية (77) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 227) حيث أن البايليك يستغل فرصة انعقادها لإعلام المواطنين عن بعض القضايا، بقراءة الظهير، أو المنشور العام الذي يحتوي على معلومات ومضامين مختلفة، قد تكون سياسية (كخبير تنصيب موظفين جدد)، أو اقتصادية (كتغطية أودفع الضرائب)، أو اجتماعية، مثل نبأ انتشار وباء وكيفية الاحتراز منه (78). (A. Benachenhou, Alger, p 16) كما أنها تلعب دورا ثقافيا هاما، إذ يقصدها المداحون من مختلف أنحاء البلاد، يقصون على الجماهير أنواعا من القصص الدينية والتجارية (79) (محمد العربي الزبيري، الجزائر، ص 64). كما تشكل أسواق المدن والأسواق الريفية الكثيرة، الإطار الذي تلتقي فيه المنتجات الريفية والحرفية (80). (Nacereddine Saidouni, 2001, p 227).

تفتح الأسواق الأسبوعية في الفترة الصباحية (يوم في الأسبوع فقط)، في الهواء الطلق، بالقرب من ساقية، أو فوارة، أو بئر، وفي منطقة حيادية تقع بين مجموعة من القبائل. وكان القائد بمساعدة الشيوخ يقوم بمراقبة التبادلات الاقتصادية بين القبائل، ومراقبة الأسواق والصفقات التي تجري على مستوى مقاطعته، كما يضمن أيضا حراسة هذه الأسواق، على حسب الأيام أين ستقام (81). (A. Benachenhou, Alger, p 21).

أما التجار الذين يقومون بها في المدن، فإنهم ينظمون ضمن هيئات، يشرف على كل واحدة أمين، يجمع الرسوم المفروضة على كل واحد، ويسلمها للمصالح الإدارية (82) (محمد العربي الزبيري، الجزائر، ص 64-65). فالعادة المتبعة منذ القدم هي أن الجزائري أو اليهودي، يكتري في السوق محلا، أو عدة محلات، ويمجد حصوله على رخصة لذلك يعرض في بابها بضاعته (83) (أبو العيد دودو، الجزائر، 1989، ص 110). فعند باب الجزائر في البلدة، توجد محلات، ودكاكين تجارية لبني ميزاب، خاصة بالملابس الجاهزة، أما بحى عبد الله المسمى بحى اليهود، فإننا نجد محلات خاصة بالخضارين، ومقابل المقهى الموجود بنفس الحى، توجد محلات خاصة بالجزائرين، وسوق التشينة أو البرتقال (84) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 883-946).

أما في الأسواق والمعارض فإن التاجر يدفع الرسوم قبل الدخول إليها (85) (محمد العربي الزبيري، الجزائر، ص 65).

فالموقع المعتاد للسوق الريفي، أنه ينصب بطريقة متناثرة هنا وهناك، وفي وسطه توجد مجموعة من الخيام التي تباع بداخلها القهوة والشاي (تعتبر كمقهى)، كما توجد بداخل هذه الخيام أيضا حصائر أو جلود تفرش على الأرض، وتوضع أو تعرض عليها سلع غذائية للبيع، والمواد المباعة تتمثل في الحيوانات بمختلف أنواعها، والحبوب، والخضر، والفواكه، والطيور، والخبز، والحلوى، والملح، والصابون،

والتبغ، والقهوة، والسكر، والتوابل، والخردوات، والنسيج، والقماش، ومنتجات حرفية، وغيرها (86) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 227).

وتعد البليدة ذات أهمية كبرى للسكان المحيطين بها، فمنها يشترون سلعهم، ويصلحون سلاحهم، ويصفحون أحصنتهم، ويلتقون لمناقشة عدة قضايا (87) (A. Cour, Alger, 1907, p 111-115)، حيث كان يتواجد بها ثلاثة أسواق، منها سوق داخلين، الأول كان مخصصا للحبوب، ويسمى "سوق جنة الزرع"، والثاني مخصص للمواد والسلع الغذائية، وكان يعرف باسم "سوق الجمعة"، وكان يعقد عند الباب الشمالي المؤدي إلى مدينة الجزائر، أما السوق الثالث فهو خارجي، حيث يعقد خارج أسوار المدينة، عند سفح الجبل، وكان يعرف باسم "سوق الخميس" (88) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 800)، حيث يعقد كل يوم خميس سوق عام، وفيه كل المناطق المجاورة تجلب الدجاج، والبيض والبقر، والثمار الجافة، والشعير، والقمح، والبقول (89) (Venture de paradis, 1895, p 276)، كما يتردد عليه رجال القبائل الجبلية لبيع منتجاتهم، وشراء حاجياتهم من أقمشة وأدوات مصنوعة (90) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 800).

كما أنه وبفضل استغلال جيد لمنطقة زراعية غنية، وطريقة غرس رائعة لأشجار البرتقال، أصبحت البليدة خلال وقت قصير، مستودع تجارة للتيطري وللجنوب، مع عاصمة الدولة والمدن الساحلية لمقاطعة دار السلطان (91) (Colonel Trumelet, Alger, 1887, p 783)، فالإنتاج الرئيسي والهام لبساتين وحقول الحبوب، أعطى لها مكانة مرموقة على مستوى مقاطعة الجزائر العاصمة أيضا (92) (Joelle Deluez, France, 1988, p 29).

كما كان في كل قيادة أو وطن، يوم من الأسبوع يعقد فيه سوق عام (93) (Venture de paradis, 1895, p 277). ففي وطن - بني خليل - الذي تقع في إطاره أراضي مدينة البليدة، نجد السوق الشهير "سوق الاثنين"، الذي يعرف لدى أناس المنطقة باسم "سوق بوفاريك"، والذي كان يعقد بين حقول الحبوب، على بُعد 400 متر شمال قبة سيدي عبد القادر، بالقرب من ساقية تستعمل لتشريب الحيوانات (94) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 229).

كما أن هناك سوق قبلي أو عشائري، يدعى "سوق بني صالح"، ويوجد بمرجة "بوقادون" (95) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 220).

وقد كانت المقايضة أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجارة، لأن النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة، ولأن المستهلك يريد الحصول على ما يحتاج مباشرة، دون المرور بعملية التحويل المعقدة، التي لا توفر الضمانات الكافية للأطراف المتبادلة (96) (محمد العربي الزيري، الجزائر، ص 658)، فالنقود المعدنية المستعملة واجهت ظروفًا صعبة، تمثلت في صعوبة تحديد قيمتها تحديداً دقيقاً وثابتاً، وذلك نتيجة لانعدام استقرار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد، واضطراب الأحوال السياسية، خاصة منذ مطلع القرن التاسع عشر، إثر الضعف والانحيار الذي أصاب العثمانيين (97) (رابح كنتور، من 04 إلى 09 ماي 2009، البليدة، ص 06).

وعن أسعار المواد يمكن لنا أن نستنتج من مخطوط العنزي - عند تحدّثه عن مجاعة 1808م - أنها كانت رخيصة الثمن، إذ يقول: "...وأما باقي الغلال، من مأكولات، ومشروبات، كلها رخيصة السعر، إلا أن الدراهم قليلة بأيدي الناس في ذلك الزمان جدا، وعزيرة

للغاية، فالبقرة الغاية تباع بأربعة ريالات وخمسة، والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان، والكيلو منه بتونسية، أعني صوريين، وقدحة الزبدة التي تزن كيلو أو أزيد بربع الريال، ورطل من التمر بريالين ونصف، وقس سائر المأكولات المعدة للاقتيات على ذلك السعر، تجدها كلها في غاية البخس، حتى أن الإنسان الذي لم يدرك ذلك الزمان المتقدم، ولم يشاهد عيانا الأشياء الجارية فيه في سائر المبيعات، من أمور المعاش، والكسوة، والكسب، ونحو ذلك، يتخيل الكذب في رضاء تلك الأسعار" (98) (صالح العنتري، الجزائر، 1974، ص 34).

وعلى العموم فقد كانت الأسعار مراقبة، سواء في أسواق المدينة، أو أسواق الريف، فبخصوص هذه الأخيرة، كانت كل قبيلة تعين أميناً لمراقبة الأسعار والمكايل.

هذا وقد عمل الحكام على تشجيع التبادل التجاري، قصد التحكم في القبائل التي ظلت ممتنعة عن سلطتهم، عندما تضطرها الحاجة إلى مبادلة إنتاجها الحيواني والزراعي، بما تحتاجه من سلع وبضائع في الأسواق الخاضعة لسلطة البابليك (99). (A. Benachenhon, Alger, p 21).

وكان لمهارة العنصر الأندلسي، واستعداد الجالية اليهودية لممارسة الأعمال التجارية، دخل كبير في تدعيم النشاط التجاري في المدينة، حيث أن المبادلات التجارية أصبحت من احتكار الأندلسيين، نظرا لاستعدادهم، ومهاراتهم، وتكاتفهم، وامتلاكهم رؤوس الأموال التي نقلوها من مواطنهم الأصلية بالأندلس (100) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 142). كما أن اليهود تمكنوا من السيطرة على تجارة الجزائر، على المستويين الداخلي والخارجي في أواخر العهد العثماني، نظرا لاستغلالهم الظروف الدولية، ومعرفتهم بالأسواق الأوروبية، وتواطؤ بعض الحكام معهم، فضلا عن إطلاعهم على عادات وتقاليد سكان الأرياف والمدن (101) (ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1984، ص 74).

ويرتبط النشاط الاقتصادي بصفة عامة، و النشاط التجاري بصفة خاصة، بالموقع الجغرافي للمدينة، و طرق المواصلات فيها، فالموقع الاستراتيجي الهام للبلدية، تتخلله معابر وممرات طبيعية عبر السهل، أو الجبل، تمكن المسافر من خلالها الوصول إلى مدينة الجزائر والساحل في الشمال، عبر سهل متيجة المنبسط والفسيح، أو إلى مليانة في الغرب، عبر واد جر، أو إلى المدية جنوبا، عبر مضائق شفة، أو عبر سلسلة جبال الأطلس التلي، كجبال بني صالح، وجبال ملوان. وقد استغلت هذه الممرات منذ القدم للتنقل بين الشرق والغرب، أو بين الشمال والجنوب، فالجيوش الرومانية التي كانت متمركزة في سواحل تيبازا (تيبازة اليوم)، وقيصرية (شرشال حاليا)، وإكوزيوم (مدينة الجزائر اليوم)، كانت تستخدم منطقة البلدية كممر طبيعي لمراقبة السهول، كما أقامت عدة محطات عسكرية بالمنطقة للمراقبة، خاصة في خزرونة وموازنة. كما اتخذها جيوش الموحديين الآتية من جهة الغرب عن طريق مليانة، ممرا للوصول إلى بجاية، ومنها إلى تونس (102) (مجلة مرآة متيجة، الجزائر، 1986، ص 04).

أما في العهد العثماني، فقد كان أول ما يهتم به البايات عندما ينصبون، هو العمل على تحقيق أمن الطرقات، حتى يستطيع الضعيف أن يتنقل من مكان إلى آخر، دون أن يحتاج لحماية القوات المسلحة، وكانت كل قبيلة مجبرة على مساندة ذلك الإجراء، لكي يستتب الأمن بينها وبين جاراتها (103) (حمدان بن عثمان خوجة، الجزائر، 1982، ص 161).

وكانت الطرق في الإيالة الجزائرية تختلف عن مثيلاتها في القارة الأوربية، وهي تنقسم إلى سلطانية، وجهوية (104) (محمد العربي الزبيري، الجزائر، ص 67)، وكذا إلى طرق محيطة بالمدن والأحواش، والقبائل والأعراش (105) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 2327).

والطرق السلطانية هي الطرق التجارية الكبرى، وتوجد منها في الجزائر تسع طرق، تربط بكل من تونس، وليبيا، والمغرب، والسودان (106) (محمد العربي الزبيري، الجزائر، ص 67)، ومنها طريق الجنوب، الذي يمتد من المدينة إلى الصحراء. وللوصول إلى المدينة عاصمة بايليك التيطري، يستعمل البايليك عدة طرق، منها الطريق التي تبدأ من مدينة البليدة، التي تعد رابطا بين العاصمة (الجزائر) وبايليك التيطري (107) (Joelle Deluez, France, 1988, p 27). ويتم المرور في هذا الطريق بجبال ملوان، وبني ميصرة، وبني بوعقوب، وباروقفة (Baroegeaja)، والعبور للحظات بوادي الآخرة (108) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 235). أما الطرق الثانوية، فتتمثل في الطرق التي تربط العاصمة (مقر دار السلطان) بالمدن المحلية، ومن أهم هذه الطرق "طريق البليدة"، فليست هناك نقطة تربط بمدينة الجزائر عن طريق المواصلات ارتباطا وثيقا مثل البليدة، وليس هناك مكان مجاور يسهل الوصول إليه مثلما يسهل الوصول إلى هذه البلدة، التي تمتاز بقربها المناسب من العاصمة (109) (هاينريش فون مالتسان، الجزائر، ص 131)، فهي تقع على بعد 48 كيلومتر جنوب غرب مدينة الجزائر، و42 كيلومتر شمال المدينة، و70 كيلومترا شرق مليانة (110) (Victor Bernard, Paris, p 243). فالبليدة إذن تقع على بعد ست مراحل من مدينة الجزائر، على الطريق الكبير المؤدي نحو مدينة معسكر (111) (Venture de paradis, 1895, p 276). وقد كان المسافر يقطع هذه المسافة في عشر ساعات من السير (112) (Louis Piesse, Paris, 1885, p 65).

ويمر الطريق الواصل بين الجزائر والبليدة، من دالي إبراهيم، مروراً بوادي الكرمة بواسطة جسر، ثم حوش حسن باشا في اتجاه الجنوب وسط المستنقع، وصولاً إلى البليدة عن طريق أراضي مغطاة بالأدغال والأشجار، وهذا الطريق رملي (113) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 235).

أما سعر النقل الذي كان يحدد حسب المسافة وصعوبة النقل، فالداي "الحاج علي" حدده (بين الجزائر والبليدة)، حسب اقتراحات خوجة الخليل "سيدي حسان خوجة"، في أول محرم 1228 هـ / 1788 م ب : "03 ريالاً" (114) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 240).

ومن خلال قراءتنا لقصيدة ابن مسايب (يا الورشان)، التي تصف الرحلة الحجية بين تلمسان ومكة المكرمة، نجد أن مدينة البليدة كانت ممراً هاماً، ومحطة رئيسية في طريق الحج التلمساني، حيث أن ابن مسايب ذكر أهم المدن والمحطات التي يمر بها الحاج، مع الإشادة بفضل أولياء وصلحاء تلك المدن والأماكن، والتوسل إليهم لقضاء الحاجات (115) (ناصر الدين سعيدوني، بيروت، 1999، ص 407). ومما جاء في هذه القصيدة بخصوص البليدة :

قم قبل الفجر وبكر ***
باش تخرج ساع لواجر

شف متيجة واستخبر *** البلدية بيت فيها (116)

(Mohamed Ben Messaib, 1900, p 275-285).

أما عن وسائل النقل المستعملة، فالجمال والبغال للسلع، والخيول للأشخاص (Nacereddine Saidouni, 117) (2001, p 240)، ففي سهل متيجة قلما نصادف الخيول، أما التي يكسبها السكان يستعملونها في ركوبهم، ويسخرونها لحمل حيوبهم (118) (حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، الجزائر، 1982، ص 91).

وكان ثمن النقل على ظهور الحيوانات باهظا، مما أدى إلى ارتفاع أسعار المنتجات المنقولة (Nacereddine Saidouni, 119) (2001, p 240)، فالحمير مثلا كانت تستعمل في الأوطان من طرف القبائل، ويمكن للحمار أن يحمل فقط من 70 إلى 80 كيلوغرام، ويتحمل مسافة 15 كيلومتر فقط، بينما البغال الوسيلة الأهم في النقل، فتحمل لمسافات بعيدة تصل إلى 25 كيلو متر، وبسرعة أكبر، وبحمل يتراوح ما بين 100 إلى 150 كيلوغرام، وكان يقطع مسافة 10 كيلومترات في الساعة على الأراضي المنبسطة، و3 كيلومترات في الساعة في الجبال (120) (Nacereddine Saidouni, 2001, p 220).

تكمن أهمية موقع البلدية في تحكمه في سهل متيجة، وفي مراقبته لوطن بني خليل، وفي اتصاله المباشر بمناطق التيطري جنوبا، وسهول الشلف غربا، عن طريق الأودية الجبلية المتمثلة في مضائق الشفة و وادي جر، فأصبحت مدينة البلدية في العهد العثماني قاعدة عسكرية رئيسية، ومركزا عمرانيا مهما في مقاطعة دار السلطان، رغم قربها واتصالها المباشر بمدينة الجزائر عاصمة البلاد، وبقيت على مكانتها إلى بداية الفترة الاستعمارية (121) (ناصر الدين سعيدوني، في طريقه للنشر، ص 02).

خاتمة

شهدت مدينة البلدية طيلة العهد العثماني عدة نشاطات اقتصادية، كان أبرزها النشاط الفلاحي، وهذا راجع إلى موقع المدينة في الجزء الجنوبي لسهل متيجة الخصيب، وبفضل الاهتمام والرعاية للنشاط الفلاحي أصبحت البلدية (مدينة- واحة)، حيث تنوعت المحاصيل الزراعية فيها، كان أشهرها البرتقال، حيث أحيطت بغابة من أشجار البرتقال، امتدت على مساحة كبيرة بلغت 400 هكتار. كما أقيمت على أرضها وعلى أراضي المناطق المجاورة لها عدة صناعات تقليدية، منها النسيج، والجلود، والفخار، وغيرها. وقد ساهم موقع المدينة في تنشيط حركة التجارة فيها، فقد كانت حلقة وصل بين المنتجات الفلاحية والحرفية لسكان المدينة والسهل والجبل، كما كانت حلقة وصل لتبادل منتجات إقليم دار السلطان في الشمال، ومنتجات بايليك التيطري في الجنوب، كما كانت أرضها ممرًا أساسيًا للوصول من مناطق الجنوب، نحو الساحل الأوسط، ومدينة الجزائر، كما كانت معبرا رئيسيا نحو الغرب والشرق، ما جعلها إحدى أهم عشر مدن جزائرية في العهد العثماني.

قائمة المراجع

أولاً: باللغة العربية:

- 1- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1968.
- 2- بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.
- 3- بكوش محمد صالح، "ترجمة وثيقة لاجين فرومونتان والتعليق عليها"، محاضرة أُلقيت في الملتقى الثالث "متيجة عبر العصور"، من 26 إلى 31 ماي 2003 بقاعة محمد التوري بالبليدة.
- 4- خوجة الجزائري حمدان بن عثمان، المرأة (لحظة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1972.
- 5- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 6- دودو أبوالعيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1850)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- 7- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
- 8- سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق: عبد القادر زبادة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 9- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال -، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 10- سعيدوني ناصر الدين، "الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر" دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر"، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، السنة 1992-1993.
- 11- سعيدوني ناصر الدين، "الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني"، مجلة الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، العدد الرابع (العهد العثماني).
- 12- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 13- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1800-1830)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- 14- سعيدوني ناصر الدين، مدونة المدن الجزائرية، في طريقه للنشر، الجزء الأول.
- 15- سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- 16- فلنزي لوسات، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1770 - 1830)، نقله إلى العربية لادي الساحلي، سواس للنشر، تونس، 1994.
- 17- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

- 18- العنصري صالح، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة (مجاعات قسنطينة)، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 19- كنتور رابح، "الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بالبلدية في أواخر العهد العثماني"، محاضرة أقيمت خلال الملتقى الثاني "متيجة عبر العصور من 04 الى 09 ماي 2002، بقاعة محمد التوري بالبلدية.
- 20- مجلة مرآة متيجة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، العدد الثاني.
- 21- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 22- هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
- ثانيا: باللغة الفرنسية:

- 1- Bernard Victor: Blida, imp:HORIZONS de France, PARIS, sans année.
- 2- Benachenhou A: L'ETAT ALGERIEN EN 1830, E.P.A., ALGER, SANS ANNEE.
- 3- Bisgambiglia Jean: Blida petite ville et grand ban lieue, la dépêche, samedi 10/02/1962.
- 4- Ben Messaib Mohamed: « Itinéraire de Tlemcen à la mekk », in R. A, T 44, Année 1900.
- 5- Cour A: « Deux Documents sur les relations du Gouvernement d'Alger avec les indigènes de Blida EN Janvier 1836 », in R. A, T 51, Année 1907, ALGER.
- 6- CHAULET CLAUDINE: la Mitidja autogérée Altamira – rotopress, Madrid, 1971.
- 7- de paradis Venture: « Alger AU XIIIe siècle », in R. A, T 39, Année 1895.
- 8- DELUEZ Joëlle: urbanisation en Algérie_ Blida, processus et formes, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988.
- 9- Secrétariat social d'Alger: Information rapide, monde rural et monde urbain, Alger, S.N.E.D, n°, 41969.
- 10- Saidouni NACEREDDINE: L'ALGEROIS RURAL ALA FIN DE L'EPOQUE OTTOMANE (1791- 1830), DAR AL-GHARB AL-ISLAMI, BEYROUTH, 2001.
- 11- Jules FRANC: la colonisation de la Mitidja ,paris, champion, 1928.
- 12- PRENANT.A, . Lacoste.V, nouschi.A ; L'Algérie, passé et présent, Ed- Sociales, paris, 1960 .

- 13- Trumelet Colonel: Blida, recites selon la légende, la tradition et l'histoire, A-JORDAN, Alger, 1887, T I, II.
- 14- DELUEZ Joëlle: urbanisation en Algérie_ Blida, processus et formes, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988.
- 15- MICHEL HABART :HISTOIRE D'UN PARJURE, LES EDITIONS DE MINUIT, PARIS ,1960.
- 16- Piesse Louis: itinéraire de l'Algérie, hachette, paris, 1885.